

## تسليّة لوسن المساءات !



09 يونيو 2020 - 08:21

حسن البطل

انصرع أديب . شاب لما قرأت ما كتب «الموقدة» عنوان نص. كيف؟ من اهتزاز نهاية القلم، لا حدساً ولا فراسة. هذا في شبوبيتي. في كهولتي استأذنت ضابط مخابرات عربياً، كان يتصفّح ملفّي المطبوع والسميك، أن اقترب من طاولته، بذريعة ضعف سمعي. قرأت سطرأ بالمقلوب عن عضويتي السابقة في فصيل، فقلت له إنني صرت عضواً في فصيل آخر .

نعم، بالسرعة ذاتها تقريباً، لي موهبة وأنا أقرأ بها العربية من اليسار إلى اليمين، أو من فوق إلى تحت. عندما أقدم مقالي لرئيس التحرير في «الأيام» أراه يُقلّب صفحاته بالسرعة التي كنتُ بها أقلب صفحات محرّري «فلسطين الثورة».

البعض يُتمم بشفاهة على كبر في قراءة نص، وأنا لي ملكة القراءة الماضية، لا كلمة كلمة، ولا سطرأ فسطرا. هكذا أقرأ أخبار ومقالات الجريدة أو الكتاب.. سوى في النصف الأسفل من صفحة «شبابيك» في جريدة «الأيام»، حيث خمس أحجيات أو «تسالي» أهمل منها هذه الـ «su-do-ku» اليابانية، لأن مُخي غير رقمي أو رياضي. من بين أحجيات أربع، أمرّ لماماً على أحجية «الفوارق» الخمسة، وتلك «الكلمة الضائعة»، وأوفر «صورة وسلم» والكلمات المتقاطعة إلى استجلاب وسن النوم في السرير. غالباً، أنجح في «صورة وسلم».. إلا إن احتوت ثلاثة مربعات لصور فنّانات عربيات. أحجية «الكلمات المتقاطعة» بمثابة حبة «فالسيوم»، تنقلني عيوني من الوسن إلى النوم. القلق صنو الأرق، ولا أذكر أنني لم أنوم أرقاً سوى مرّة في العمر، بنصف حبة «فالسيوم 5» من صديق حليف أرق القلق.

مربع أحجية «الكلمات المتقاطعة» تبدو صعبة أحياناً، فهي عن شعراء ومفكرين، أناوش مربعاتها الصغيرة والكثيرة بحل مربعاتها الصغيرة. ما أن أملاً مربعين أو ثلاثة منها، حتى أتم حلها، وهي غالباً مترادفات لغوية، مثل أسماء أخرى للأسد تدهشني كثرتها، لكن بسهولة أستبدل حروف كلمة «تعظيم» الخمسة بحروف كلمة «إجلال» الأربعة. غالباً تمتلئ المربعات الكبيرة للعبة بملاء المربعات الصغيرة، التي تفصل فيما بينها مربعات سود، إلا إذا قادني وسن النعاس إلى نوم عميق.

قرأت عبارة جواب للمغنية الشهيرة «مادونا»: كيف ترتاح من حركات صاخبة في أغنية صاخبة، وجوابها كان في ممارسة رياضة بدنية صاخبة، أي قلب الانعكاس والارتكاس. يبدو لي أن المغنيّ الصاحب والراقص مايكل جاكسون مات مبكراً ليس من صخب أغانيه ورقصاته، وأزياء غريبة يرتديها، وإنما من قلّة ممارسته رياضة السباحة، أو الهرولة، أو من غبائه في حل أحاجي «الكلمات المتقاطعة»، وهي ست في صفحة تسالي «شبابيك» أهمل منها «السودوكو» الرقمية و«حظك اليوم» الذي لا أتذكّره إلا عندما يتكرني به هذا «الفيسيوك»، وتهاني القراء بيوم مولدي، المصادف ليوم بدء ثورة «الباستيل» الفرنسية.

أتسلّى أحياناً بلعبة «شيش بيش» أو طاولة الزهر، نسييت منها لعبة «الفرنجية» ولا أنسى لعبة «المحبوسة» أو الـ «31»، ولا أنسى مباريات طاولة الزهر البيروتية بين الشاعر

أدونيس الهادي، والشاعر الصاحب محمود درويش، الذي كان يدفع الشرط غالباً أو مغلوباً.

في كلِّ حانة أو مشرب أو «بب» قبرصي هناك طاولة للعبة «البلياردو» الفسيحة، أو لعبة «السنوكر» وحصل أن فزت مرةً بميدالية برونزية في مباراة فاز بها شاب إيراني هارب من بلاد «آيات الله». هذا في «السنوكر» الصغير، أما في «البلياردو» الكبير، فإن مهارتي صفر كبير.

لماماً وسريعاً أقرأ أخبار وآراء ومقالات الجريدة صباحاً، وعلى مهل أحلُّ شبكات ألعاب التسلية، وفي المُحصَّلة فإن ثروتي من مترادفات لغة الضاد تفوق مترادفات كِتَاب يفوقوني في رصف الكلام.

يقولون إن «النوم سلطان» وهو سلطان رخو وديمقراطي للعقول البسيطة، لكنه سلطان دكتاتوري مستبدٌ أو عنيد لمن شغلته «العمومة» في زمن قلق الأرق، أو أرق القلق، لكنه يصير جالباً لسلطان النوم، ومطوّعاً للوسن، أكثر من ثمل كؤوس كثيرة، أو أقل من حلِّ كلمات متقاطعة.

هذا زمن جائحة الـ «كورونا» التي أغلقت مقاهي لعبة الورق ولعبة طاولة الزهر، لكن جريدة تقرأها على «الانترنت» لا تُغني عن جريدة ورقية فيها صفحة «شبابيك» وفي ذيلها ما يجلب لك الوسن إلى غطيظ النوم أكثر من مهدّئات «الفاليوم» وأضرابه.

قلمك سيال في كتابة الأعمدة، وقلمك حرون في ملء مربعات أربع شبكات من ست في صفحة «شبابيك»، وكل ما تحتاجه في سرير رقاد الليل هو ضوء جانبي، وسيكارة واحدة.. وتصبحون على خير.

بماذا كان يتسلّى شاعر قال: « أَنَامُ مِاءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا »؟ هذا زمن «يَشْهَرُ الخُلُقُ جِزَالَهَا وَيَخْتَصِمُ»!